ابن زهر وابن البيطار ، وعرفوا بصفة خاصة طرق معالجة الجدرى والحصبة . وطالما كان يستدعى ملوك أوربا وأمراؤها الأطباء من العرب لمعالجتهم . وأسس الفرنسيون مدرسة للطب فى مدينة مونبلييه (Montpellier) قام بالتدريس فيها أساتذة من بلاد الأندلس ؛ كذلك استفاد الأوربيون من نبوغ العرب فى الكيمياء . ولا تزال بعض المركبات الكيميائية ، كالكحول (Alcohol) والكافور (Camphor) والقلويات (Alkali) والأشربة (Syrops) تدل على أصلها العربى

وقد أخذ الأوربيون عن المسلمين كثيراً من أنواع النبات ، كالأرز ، وقصب السكر ، والخرشوف ، والشمش ، والبرتقال والزعفران ، وأنواع الورد والياسمين ؛ كما أخذوا عنهم الطواحين الهوائية لطحن الغلال ، ورفع الماء ، وأقاموا أول طاحونة منها فى مقاطعة نرمندية سنة ١١٠٥ م ، كما أقاموا غيرها فى هولنده . ولا تزال سهول بلنسية فى اسبانيا تروى إلى الآن بطرق الرى الفنية التى ابتكرها العرب . وقد نقل الأوربيون عن العرب كثيراً من الصناعات كصناعة السكر والحرير والورق كما عرفوا عنهم البوصلة التى كان لاستعمالها فضل كبير فى توسيع نطاق الملاحة وتشجيع الكشف الجغرافى . وقد نبغ العرب فى الفنون الحربية وصناعة السفن حتى أصبحوا أساتذة أوربا فى ذلك المضمار . فكانت أساطيل الدول الاسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط نماذج تحتذيها البلاد المسيحية فى صنع أساطيلها . ولا يزال كثير من الاصطلاحات العربية البحرية شائعاً على ألسنة البحارة فى جنوه حتى اليوم . من ذلك كلمة Cable المحرفة عن لفظ حبل ، وكلمة (Darsonal) الايطالية المحرفة عن لفظ دار الصناعة

ولم تقتصر استفادة الأوربيين من العرب على العلوم والصناعات ، فقد تأثر طلاب العلم من الأوربيين بالأدب فى اسبانيا ، وبخاصة الشعر والموسيقى ، فنقلوا إلى بلادهم أشعار العرب وأناشيدهم وأغانيهم مما كان له أثر كبير فى الآداب الأوربية . ولا عجب فقد كان العرب حلقة اتصال بين المدنية القديمة والمدنية الأوربية الحديثة

محمد ابراهيم حسن
أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب بالجامعة المصرية
وكلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية

من مناظر الهجرة

أم سلمة*

بقلم ناجى الطنطاوى

— ١ —

(فى البادية ، قبل الفجر ، أم سلمة ممتطية بعيراً وابنها فى حضنها وأبو سلمة آخذ بخطام البعير يسوقه ، فى طريقهم إلى المدينة مهاجرين)

أم سلمة

« أبا سلم » حث المطى فانى أخاف من القوم المكيدة والغدرا
إذا أدركونا اليوم كان نصيبنا الرّ دى وغدت هذى الرمال لنا قبرا
وإنّى لا أخشى على نفسىَ الردى
ولا أرهب الموت الزؤام ولا الأسرا
ولكن طفلى سوف يصبح إن أمت
يتيماً ، ويمسى طعم عيشته مرا

(*) هى هند بنت سهيل القرشية المخزومية أم المؤمنين ، كانت زوج ابن عمها أبى سلمة بن عبد الأسد ، فلما مات عنها تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمادى الآخرة سنة أربع . وكانت ممن أسلم قديماً هى وزوجها وهاجرا إلى الحبشة فولدت له سلمة ، ثم قدما مكة ، وهاجرا إلى المدينة ، وفيها ولدت له عمر ودرة وزينب وقيل إنها أول امرأة خرجت مهاجرة إلى الحبشة وأول ظعينة دخلت المدينة

وحين بعث إليها النبى صلى الله عليه وسلم يخطبها بعد سنتين من الهجرة حين مات زوجها وانقضت عدتها ، اعتذرت بكبر السن والأولاد وكونها غيوراً ، فذكر النبى صلى الله عليه وسلم أنه كبير أيضاً وذو أولاد ، ثم قال : وأما الغيرة فأدعو الله عز وجل أن يذهبها عنك ، فكان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يتحاكمن إليها لعلمهن ببراءتها من الغيرة . وكانت موصوفة بالجمال البارع والعقل البالغ والرأى الصائب ، وهى صاحبة المشورة المباركة يوم الحديبية . توفيت على الأكثر فى آخر سنة ٦١ وهى آخر أمهات المؤمنين موتاً

أما زوجها أبو سلمة ، فهو عبد الله بن عبد الأسد المخزومى من السابقين الأولين إلى الاسلام ، أسلم بعد عشرة أنفس ، وكان أخا النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وابن عمته ، وروى ابن أبى عاصم من حديث ابن عباس : أول من يعطى كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الأسد ، وأول من يعطى كتابه بشماله أخوه سفيان بن عبد الأسد

شهد بدراً . وتوفى فى سنة أربع من الهجرة بعد منصرفه من أحد ، انتقض به جرح كان أصابه بأحد فمات منه

إذا صاح «أمى» لم يجد من يجيبه فتذرى أحر الدمع مقلته الشكرى
لنسرع فانى قد شعرت بوحشة وذعر
أبو سلمة — دعى يا أم سلمة ذا الذعرا
ألم تعلمى أن المقدر كائن إذا عاندته النفس أعقبها خسرا
سننجو معاً إن يكتب الله نجوة ويلحقنا ضر إذا كتب الضرا
ألا فى سبيل الله كل مصيبة إذا نزلت فينا ادّرعنا لها الصبرا
ثق أن مانلقى من البؤس والضنى سيجعل رب العرش فيه لنا أجرا
دعانا إلى الدين القويم محمد فقلنا له لبيك رمت بنا خيرا
أطعنا وآمنا بك العمر كله فمرنا فانا قد بذلنا لك العمرا
وقفنا على نصر النبى نفوسنا وأرواحنا لا نبتغى الحمد والشكرا
سلام على عهد بمكة سالف لهونا به لم نعرف الحزن والضيرا
مهاجر من أرض غذانا نميرها لو انا استطعنا مانوينا لها هجرا
فهل يكتب الله المؤمّل عودة لنا أم ستبقى فى خيالتنا ذكرى
أم سلمة : أرى الطفل قد أغفى
أبو سلمة : لينعم بنومه ولا توقظيه ربما تقطع القفرا
أما ذاق طعم النوم بالأمس ؟
لا
اذن دعيه ينم ماشاء ولترقب الفجرا

(يتطلعان إلى السماء لرؤية الفجر ، وبعد لحظة يشمعان جلبة وصوت حوافر خيل ، وتعلو أصوات من حولها قائلة :)

قفا
استسلما
ايا كما أن تقدما
سيقتل حالاً من عصى الأمر أو فرا

أبو سلمة — وقفنا فمن أنتم ؟
مطاعين من بنى ا مغيرة قد سقنا لكم عسكراً بحرا
«أبا سلم» دع حفظ نفسك اننا غلبنا عليها ما استطعنا لها قهرا[1]
وضم الينا أم سلمة مرغماً والا فاناسوف نستصرخ السمرا

(يقف أبو سلمة حائراً ، واثقاً أنه إذا أراد المقاومة ، قتل هو وزوجته وابنه جميعاً بينما يتقدم القوم فينزعون خطام البعير من يده ويأخذون أم سلمة)

أم سلمة —
الى أين ؟ يا رباه ! ماذا يراد بى ؟
أيتركنا زوجى بأيدى العدا أسرى
أأفصل عنه وهو دونى مائل يرانى ولا يبدى حراكاً ولا أمر
(يحيونها ويسيرون بها)
دعونى يا رهط اللصوص فليس لى
من العزم ما أرجو به لكم دحر
شجاعتكم جبن اذا هى أعلنت على امرأة مثلى موطدة حر
أبادأتكم بالشر أول مرة ؟
أأضمرت طول العمر يومالكم شرا
سألتكم بالله الا عطفتم علىّ لعل الله يجزيكم خيرا
(يسخرون منها ويضحكون)
أقالت لعل اللات ؟
انى سمعتها تقول لعل الله
أبلغ بذا كفرا
لقد صبأت
لا بد من قتلها اذن
أوافق
لا ، فالسجن قبل بها أحرى
ستسجن حينا ثم تردى قتيلة
أم سلمة — حنانيكم يا قوم . . !
لا تطلبى غفرا

(يمرون فى طريقهم على بنى عبد الأسد رهط أبى سلمة ، فلا يكاد هؤلاء يعرفون الخبر حتى يهجموا عليهم قائلين :)

على رسلكم يا عصبة الشر
مالكم ؟
ألم تأخذوا بالأمس صاحبنا قسرا ؟
كذبتم لقد أمسى طليقاً
ولم ينل بسوء
إذن خلوا لنا طفله حرا
وما شأنكم بالطفل ؟
ما شأننا به ؟ وهل ينتمى إلا إلى أمه الكبرى[1] ؟

(يهجمون عليهم ، ويتجاذبون سلمة حتى يأخذوه بعد أن تخلع يده ويذهبون به)

(١) نص العبارة . « هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه على م نتركك تسير بها فى البلاد ؟ »

(١) كناية عن القبيلة

سلمه (تصبح) —

نجّ يا ربي وهب لي مخرجا
من البؤس وارفع عني السوء والضرا

(يعني عليها)

— ٢ —

(بعد عام كامل، أم سلمة جالسة وحدها بالأبطح (١) في حي بني المغيرة تبكي وتقول)

سلمة —

سقى الله عهداً غاله الدهر لم يكن
سوى حلم عذب شهى بنا مرا

ربنا به كأس المسرة والصفا ورفرف طير الحب من فوقنا دهرا

لم نك تدري فيه ما لوعة النوى
وما حرقة الحزن التي تقصم الظهرا

أحن الى أهلي حنين موله وقد ينقضي يوم فأحسبه عشرا

ألا هل أرى زوجي وطفلي قبلما أموت وألقى في الثرى جسداً قرا

لقد نفد الدمع الذي كان سلوتي فمن لي بدمع يذهب الشجن المرا

أقول لقلبي والأسى يتبع الأسى
هداديك(٢) قد أفنيت شطراً فدع شطرا

« أبا سلم » اذكرني فاني مقيمة
على العهد لا أنساك صبحا ولا عصرا

أعندك أني منذ عام سجينة أقاسي من الآلام ما يصدع الصخرا

وأني لا أدري إلام يطول بي عذابي، أيوما بعد عام أم شهرا

الى الله أشكو ما ألاقي من الأسى
ومنه أرجي العون والغوث والنصرا

(يدخل عليها رجل من بني عمها، وهو أحد بني المغيرة، كان قد عرف حالها، وكلم قومه في أمرها، فرضوا باطلاق سراحها، ويكون قد سمع شكواها)

— أقلي من الشكوى، ولا تكثري البكا

— ومن أنت؟

— واستبق الجلادة والأزرا

— ومن أنت؟

— لا تخشي فديتك زائرا أتاك على وهن به يحمل البشرى

— وأية بشرى؟

— أبشري بالخلاص من اسارك

— دع عنك الهزؤ والسخرا

— لقد قلت حقا، ما الهزؤ شيمتي ولا أعرف اللين المعيب ولا الهذرا

— أأصبحت أستطيع الخروج الى . . .

(يدخل نفر من القوم، ويصيحون بها قائلين)

— أخرجي، فانا عفونا عنك

— شكراً لكم شكرا!

(تخرج من الأسر وهي تقول في نفسها)

— أيارب حمدا لا انتهاء لحده ويارب شكرا لا أطيق له حصرا

(تذهب في طريقها سائرة وحدها إلى المدينة)

— ٣ —

(تمر في طريقها على بني عبد الأسد، فيراها القوم فيسألونها عن خبرها فتخبرهم بما وقع لها من الخلاص من الأسر، وانها ذاهبة إلى زوجها فيواسونها ويردون عليها سلمة، فتأخذه وتذهب في طريقها مسرورة تضمه وتقبله وتقول له:)

— حبيبي أحقا عدت لي اليوم بعد ما
فقدتك عاما ما عرفت به البشرا

أسائل عنك الريح عند هبوبها
وأستنطق الأفلاك والسحب والبدرا

وكم كنت أخشى أن تمد يد الردى
اليك شباكا تقنص الليث والنسرا

فسل مقلتي هل داعب النوم جفنها
وسل قلبي الولهان هل نسي الذكرا

أحقا تراك العين يا من سلبتها لذيذ الكرى، أم ذاك وهم بها قرا

لحا الله من أقصاك عني، انه
— ولم يدر — أقصى عني الأمل النضرا

لقد خلعوا بمناك شلت يمينهم فياليتها اليمنى بجسمي واليسرى

وياليت ما قاسيت من ألم سرى الى وحلت الأسى عنك والبهرا(١)

قضى الله أن نشقى فكان الذي قضى
فهل كتب الله السعادة واليسرا؟

(١) بين مكة ومنى، وهو مسيل وادي مكة

(٢) تمهل

(١) الاهانة والنكبة

(تتابع سيرها دون أن ترى أحداً فى طريقها ، ثم تصل إلى التنعيم[1] ، فتلمح عن بعد رجلا قادماً نحوها . لا تكاد تقرب منه حتى تنظر إليه فتعرفه وإذا هو عثمان بن طلحة [2] أخو بنى عبد الدار)

عثمان — الى أين ؟

— قصدى أرض يثرب

— منذ كم تسيرين ؟

— لى يومان أضرب فى الصحرا

— تسيرين فى الصحراء وحدك ؟

— ما معى سوى الله وابنى ذا ، وأنعم به ذخرا

— فمالك يا أختاه والله مترك ولا بد لى من أن أبلغك الوكرا[3]

(يعود معها إلى المدينة ، فتذكر له ما جرى لها ، ويتابعان السير حتى يصلا إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء (قرب المدينة) فيدخلانها ، ويعلمان من أهلها أن أبا سلمة فيها ، فيذهبان إليه)

— ٤ —

(أمام داره ، تطرق أم سلمة الباب)

أم سلمة — أأدخل ؟

— من ذا يطرق الباب ؟

عثمان — زائر

— على الرحب يا من جاءنا يبتغى زَورا

— تفضل إذا شئت

(يدخل عثمان ووراءه أم سلمة متلثمة ، وولدها معه لا يظهر إلا وجهه)

عثمان — السلام عليكمُ

عليكم سلام الله منهملاً ثرّا

فقدناك دهراً يا ابن طلح فما الذى عناك ؟

— نضالى العيش والجوع والفقـ

— عذرت ، وقاك الله كل مصيبة

وأذهب عنك السوء والضيق والعـ

(يلتفت إلى أم سلمة ويقول له :)

— ومن هذه ؟

— أختى

(ينظر إلى الطفل طويلا ، ولا يدرى أهو ابنه أم لا)

— ألست ترى ابنها ؟

— بلى

— إن لى ابنا مثله كان بى مغرى

— وما زال ؟

— لا أدرى فانى فقدته وأما له من خيرة الناس

— هل فرا

— يفران ؟ كلا ، بل أحاط بنا بنو المغيرة واستاقوهما معهم قهر

— متى كان هذا ؟

— منـذ عام تفتتت به كبدى ، والدمع سال به نهر

أبيت فلا يعتاد مقلتى الكرى وأصبح لا أسطيع نطقا ولا سير

أم سلمة — (بصوت متكلف)

— ولم لم تدافع عنهما حين أقبلوا

— أيسطيع غرق البحر أن يدفعوا البحر

أم سلمة — أتعرفنى يا عم ؟

— (بدهشة) انك أخته

— (ترفع اللثام) أتعرفنى ؟

— ماذا ؟ أأنت التى أقرى[1] ؟

(يقوم إليها ويعانقها طويلا ويضم ابنه ويقبله)

أبو سلمة — لك الحمد يا من ليس يحمد غيره

جمعت شتيت الشمل فى الأنفس الحيرى

بلوت فكان الصبر أكبرهمنا فشكرا على عفو غمرتنا به غمرا

(دمشق) ناجى الطنطاوى

---

(١) موضع بمكة فى الحل وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة ، سمى بذلك لأن جبلا عن يمينه يقال له نعيم ، وآخر عن شماله يقال له ناعم ، والوادى نعمان

(٢) هو عثمان بن طلحة بن أبى طلحة العبدرى من بنى عبد الدار ، حاجب البيت ، أمه أم سعيد بن الأوس . أسلم مع خالد بن الوليد فى هدنة الحديبية ، وهاجر معه ، وشهد الفتح مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه مفتاح الكعبة ، وفى الصحيحين من حديث ابن عمر قال : دخل النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة ، ودخل معه بلال وعثمان بن طلحة وأسامة ابن زيد ، توفى بمكة نحو سنة ٤٢

(٣) نص العبارة : (هل معك أحد ؟ قلت لا والله إلا الله وابنى هذا ، فقال والله مالك من مترك)

(١) أبحث وأفتش . (حاشية) : قالت أم سلمة : والله ما أعلم أهل بيت فى الاسلام أصابها ما أصاب آل أبى سلمة ، وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة